التأثر والتأثير

يعدّ **التأثر والتأثير** المفهوم الأهم في الأدب المقارن وموضوعات الأدب المقارن، بل هو أساس موضوعات الأدب المقارن على اختلاف مدارسه، وإن اختلفت هذه المدارس على أسباب وقوعه، ووسائله، والصلات التاريخية المنبثق عنها، اذ يرى الناقد الفرنسي **سيمون جون** في كتابه الأدب العام والأدب المقارن، أن جوهر الدراسات المقارنة، هو التأثر والتأثير الذي يُمارس من مؤلف على آخر أو من آداب على أخرى، وانتشار هذه التأثيرات. ولا يُسمح في أي مدرسة بأن تغيب القومية عن هذه الدراسات، التي تتعمق في التفاصيل، بينما يرى الناقد الأمريكي **رينيه ويلك**: أنه من الضروري أن يدخل التأمل ضمن التأثيرات، لذلك فهو في كتابه تمييزات يدين المنهج الفرنسي في دراسة العلاقات الأدبية والتأثيرات. وقد ذهب الكثير من الدارسين إلى التفريق بين التأثر والتأثير في موضوعات الأدب المقارن، وعدم النظر إليهما كمسار واحد، فهم يرون التأثر على أنه فعل إرادي من المُرْسَل إليه، اتجاه الرسالة التي بعثها المُرْسِل. وتكون مصادر المُرْسَل إليه في تأثره من كتاب، أو كاتِب، أو أدب كامل، من آداب أجنبية مختلفة عن أدبه القومي، وقد يكون جنس النص الذي تأثر به أدبيّا، ولكن مصادره غير أدبيّة. ويأتي التأثر على نوعين: فهو إما أن يكون **مباشرا** من خلال التركيز على كاتب معين، أو جنس أدبي ما، أو مدرسة أدبية بذاتها، ويسهل معرفته وتحديد مصادره، أو **غير مباشر** من خلال استيعاب ما سلف، وصياغته بأسلوب جديد ليس من السهل تحديده وكشفه. أسباب التأثر ضمن موضوعات الأدب المقارن ويمكن الكشف عن التأثّر في موضوعات الأدب المقارن من خلال نص المتأثِّر، لتحديد مصادره التي اعتمدها المتأثِّر في أدبه بناء على سبقها زمنيّا، ومن خلال تصريحات المتأثر عن مصادر ثقافته، **ويقع التأثر في موضوعات الأدب المقارن لسبب من الأسباب الآتية:**

- ✓ الهجرات السياسية أو الاجتماعية أو الطبيعية، فيتأثر الأدباء المهاجرون بثقافات البلدان التي هاجوا إليها.
- ✓ إعجاب أديب بآخر أجنبي، يعبر عن ذات ما يجول في خاطره من أفكار وقضايا.
- ✓ رغبة الأدباء في التجديد، بعد انغلاق الأدب لفترة طويلة على نفسه، مثل الرومانسية التي جاءت رغبة في التجديد والخروج عن الكلاسيكية.
- ✓ رغبة عدد من الأدباء في التخلص من هيمنة آداب معينة، والاستفادة من غيرها من الآداب. فقر الأدب القومي، الذي يلجأ لآداب أجنبية أخرى تساهم في نهضته.

أسباب التأثير ضمن موضوعات الأدب المقارن:

أما التأثير فتكون دراسته من خلال انعكاساته وآثاره في آداب أجنبية أخرى، كأن يؤثِّر كاتب في كاتب ما أو أدب أجنبي في أدب كاتب ما أو آداب أخرى. أمّا أسباب التأثير فهي:

1-أصالة أفكار الأديب ومعانيه، وما تضمه من طرافة وابتكار، وقوة إبداعه من خلال قدرته على التحكّم بمادته الأدبية، والتركيز على موضوعات زاخرة يستوحيها من واقعه.

2-انتشار أدب ما أواسط أدب يعاني شعبه من تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعيةوالاقتصادية، مما يدفع هذا الشعب إلى الأخذ من الأدب المنتشر.

3-الابتكار والتفنن في النصوص والأشكال الأدبية عند كاتب ما أو أداب من الآداب.

4-هيمنة ثقافة معينة، كثقافة المستعمِر على ثقافة المستعمر.

التأثر والتأثير: مفهوم في صلب الأدب المقارن بمناهجه كافة، وإن تفاوتت في تحديد آفاقه أو اختلفت فيه وتنازعت،وهو عبارة عن مسارين مختلفين يمثل كل واحد معنىً ودلالة..

أولا :التأثر: يكون من المرسِل إلى المرسَل إليه أو المتقبل، الذي تكون مصادر تأثره من آداب أجنبية عن أدبه القومي، وفي لغات أجنبية. وهو يتأثر بكتاب أو أديب، أو أدب بكامله. وليس ضرورياً أن تكون هذه المصادر من جنس النص المدروس، فقد يكون النص أدبياً والمصادر ليست أدبية

ثانيا:التأثير: تنبعث دراسته عن عمل واحد أو مجموعة أعمال لأديب واحد أو بلد واحد، وتكشف آثاره وإشعاعاته عند الآخرين وتسربه إلى آداب أجنبية.

الفرق بين التأثر والتأثير وبين التقليد:

التقليد : هو تأثير شعوري، وهو أن يتخلى المبدع عن شخصيته الإبداعية ليذوب في مبدع آخر أو في أثر بعينه له و هو محاولة إعادة صياغة نموذج أدبي لمبدع آخر موهوب أكثر بكثير من المقلد ومقياس التقليد كمي، أي أن دارس التقليد يتبع الكم المأخوذة من النموذج الأصلي ليكشف عنه.

أما التأثير : فهو تقليد غير شعوري، وليس مرادفاً للتطابق اللفظيمقياسه نوعي، ففي كثير من الأحيان يكون المؤثر والمتأثر في قدر واحد من الموهبة، ولا يقل الأخير عن الأول في شيء، والمتأثر الحصيف هو الذي يخضع ما يتأثر به لتركيبة جديدة يوجدها هو في عمله الإبداعي.

أنواع التأثر:

التأثر التأويلي (تأويل الكاتب): هو تأويل أو تفسير أو رؤية الأديب لما يقرأه من الآداب الأخرى. كتأثر صوفية الفرس بالإسلام والقرآن الكريم تأثراً تأويلياً؛ لأنهم أدخلوا في تأثرهم به كثيراً من فلسفة أفلاطون وأفلوطين، ومن مبادئ التصوف الهندي والإيراني القديم. ولكنهم فهموا آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، أي بعد أن أخضعوهما لآرائهم وظنوا أنهم لهما خاضعون. ومع ذلك فهم يعدون متأثرين بالقرآن والحديث عن طريق التأويل.

التأثر العكسي(سلبي): وهو ما يقبل الرافد الأجنبي لكنه يناقشه ويرد عليه بموقف مخالف. كموقف عباس العقاد من إحدى الرباعيات المنسوبة إلى عمر الخيام، ورده عليها شعراً كذلك. وكموقف أحمد شوقي من "كليوبترا" التي جعلها وطنية في حين ركز الغربيون على ملاذها واستهتارها.